حديث بين الموت والحياة

بقلم غسان خاف

نشرتها مجلة "الغريب"
العدد ٧٢ عام ١٩٧٢

قبل الفين من السنين كانت الحياة تقف على شاطئ البحر تتأمل في الأفق المصفر عندما طرق اذنيها صوت، فالتفتت لترى واذا الموت واقف تجاهها:

الحياة: كم انت قبيح؟ ألا تزال تلاحقني؟ اذهب عني.
الموت: الى اين؟ فأنتِ غذائي الوحيد.
الحياة: اعلم ذلك أيها الوحش المفترس.
الموت: لا تغاظي لي القول، لولاي لا قيمة لك، عندما افترسك اقيمك.
الحياة: لا قيمة لي انا؟!
الموت: نعم، ما قيمتك بدوني؟ من يسعى وراءك لولا الخوف مني؟ قيمتك بوجودي.
الحياة: لا، قيمتي في ازليتي. انت دخيل على الوجود.
الموت: إن كنتِ انتِ البداية، فانا النهاية، وبداية بلا نهاية أية قيمة لها؟
الحياة: ماذا تعني؟
الموت: كلما ولدتِ سأفترس مولودك. قوتي في قتلك باستمرار.
الحياة: قل لي، من سلطك علي؟
الموت: الشيطان.
الحياة: وبأية ذريعة؟
الموت: الخطيئة.
الحياة: اذن. سأبطل ذريعته.
الموت: لا تستطيعين. فلقد فطِرتِ على الخطيئة.
الحياة: ولكني استطيع!
الموت: كيف؟
الحياة: سأوكل محاميا!
الموت: محاميا؟! من هو؟
الحياة: يسوع المسيح!
الموت: يسوع المسيح؟!
الحياة: نعم يسوع المسيح. ما بالك قد صدِمت؟
الموت: لن أصدم، ارجو فقط ان نتقابل.
الحياة: لا ترج ذلك، لانك ستندم.
الموت: لن اندم، هل تصلك به صلة قربى؟
الحياة: بكل تأكيد، فهو مصدري.
الموت: تقصدين انه جوهر الحياة؟ مرحبا به. انا الموت.
الحياة: لا تتفاخر لئلا يحطم انيابك الحادة.

الموت: ايتها الغبية، يحطم اسناني انا؟!
الحياة: نعم انت، ويريح اولادي منك ومن ظلمك.
الموت: سألحقه ببنيك، انا الموت، انا قاهر الحياة.
الحياة: اذن استعد للمواجهة.
الموت: ولماذا استعد؟ المعركة مضمونة، سأنجر الصليب!

وافترقا.

وبعد مضي عدة عقود من السنين، التقيا مرة اخرى وتبادلا التحيات وكان الموت واقفا عند حافة احد القبور.

الحياة: ما بالك مجور الخدين حزينا يا موت، انك تزداد قبحا وهزالا أيها الهرم.
الموت: إتركيني اموت ببطء ايتها الحياة!
الحياة: أنت تموت؟! الموت يموت! يا عجباه!
الموت: لقد حطم صديقك المحامي قواضم فكي فلم اعد اقوى على افتراس الحياة والتغذي بها.
الحياة: يا فرحتاه! اقوى برهان اعتراف الخسران، لقد تنبأت لك بذلك. على فكرة، ماذا فعلت بالصليب الذي نجرته؟
الموت: لقد مات عليه.
الحياة: مات عليه؟ ايها الموت اللئيم هل قدرت عليه؟ ولكن ... ولكن ... كيف حطم اسنانك؟ لقد قلت انه حطم اسنانك.
الموت: نعم حطم اسناني! ألا ترين شوكتي المحطمة؟
الحياة: ولكن كيف؟ انت تقول إنه قد مات.
الموت: نعم لقد مات، ولكنه ... آه واحشرجتاه!
الحياة: قل ... قل ولكنه ماذا؟
الموت: ولكنه ... ولكنه قد قام، في اليوم الثالث قام!

فاه الموت بكلماته الاخيرة واطلق صرخة مدوية رددت الوديان صداها وزاغت عيناه وانحلت ركبتاه وسكت قلبه. فسقط في القبر المحفور امامه، فردت الحياة الغطاء الصخري عليه حيث يرقد الى الابد.